الا عن شيء احدثتموه والذي نفسي بيده لئن عادت لا اشاكلكم فيها ابدا او في
مناقب عمر لان الي الدنيا ان الارض زلزلت على عهد عمر فضرب يده عليها وقال
مالك اما انها لو كانت القيامة حدثت اخبارها شمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
تقول اذا كان يوم القيمة قلت فيها ذاع ولا شيء الا وهو ينطق
وذكر الامام احمد عن صفية قالت زلزلت المدينة على عهد عمر فقال ايها
الناس ما هذا ما اسرع ما احدثتم لئن عادت لا اساكنكم فيها ورواه الكعب
انما تزلزل الارض اذا عمل فيها بالمعاصي فتزعد فتقوم لرب جل جلاله ان
يطلع عليها وكتب عمر ان عبدا لعزيز الى الامصار اما بعد فان هذا الرجف
شيء يعاتب الله عز وجل به العباد وقد كتبت الى الامصار ان يخرجوا في يوم
كذا وكذا ومن شهر كذا وكذا فمن كان عنده شيء فليتصدق به فان الله يقول
قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى وقولوا كما قال ادم ربنا ظلمنا انفسنا وان لم
تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقولوا كما قال نوح وان تغفر لي وترحمني
اكن من الخاسرين وقولوا كما قال يونس لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين
وقال الامام احمد حدثنا اسود ابن عامر قال ثنا ابو بكر عن الاعمش عن عطاء
ابن ابي رباح عن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا اخذ الناس
بالدينار والدرهم وتبايعوا بالعينة واتبعوا اذنابا البقر وتركوا الجهاد
في سبيل الله انزل الله بهم بلاء فلا يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم ورواه ابو داود
باسناد حسن وذكر انه ابي الدنيا من حديث ابن عمر قال لقد رأيتنا وما احد احب
بدينار ولا درهم من احبه العلم ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا اخذ
الناس بالدينار والدرهم وتبايعوا بالعينة وتركوا الجهاد واخذوا باذناب
البقر انزل الله عليهم من السماء بلاء فلا يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم وقال
الحسن ان الفتنة والله ما هي الا عقوبة من الله عز وجل على الناس ونظر بعض
ابيبا بني اسرائيل الى ما يصنع بهم فجعلت تصرف فقال ما كنت ابدينا سلطت
علينا من لا يعرفك ولا يرحمنا وقال احبث نصر لدانيال ما الذي تسلطني على قومك
قال عظم خطيئتك وظلم قومي انفسهم وذكر ابن ابي الدنيا من حديث عمار بن ياسر
وحذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل اذا اراد بالعباد نقمة اماتت الاطفال
واعقم ارحام النساء فتنزل النقمة وليس فيهم مرحوم وذكر عن مالك ابن دينار
قال قرأت في الحكمة يقول الله عز وجل انا الله مالك الملوك قلوب الملوك بيدي
فمن اطاعني جعلتهم عليه رحمة ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة فلا تشغلوا انفسكم

سب

سب الملوك ولكن توبوا الي اعطفهم عليكم ومن مراسيل الحسن اذا اراد الله
بقوم خيرا جعل امرهم الى حلمائهم وفيهم عند سمحائهم واذا اراد بقوم شرا
جعل امرهم الى سفهائهم وفيهم عند بخلائهم وذكر الامام احمد وعبد عن قتادة
قال موسى عليه السلام يا رب انت في السماء وانا في الارض فما علامة غضبك
من رضاك قال اذا استعملت عليكم خياركم فهو من علامة رضاي
عنكم واذا استعملت عليكم شراركم فهو من علامة سخطي عليكم وذكر
ابن ابي الدنيا عن الفضيل ابن عياض قال اوحى الله تعالى الى بعض الانبياء اذا
عصاني من يعرفني سلطت عليه من لا يعرفني وذكر ايضا من حديث ابن عمر رفعه
والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى يبعث الله امرا كذبه ووزرا فحرم واعوانا
خونه وعرفا ظلمه وقرافقه سيماهم سيماهم الرهبان وقلوبهم انتن من الجيف
اهواهم مختلفة فيبتلي الله لهم فتنة عبرا مظلمة فيتيهها ويكون فيها والذي
نفسي بيده لينقض الاسلام عروة عروة حتى لا يقال الله الله لنامرن بالمعروف
ولننهون عن المنكر اوليسلطن الله عليكم شراركم فليسومونكم سوء العذاب
ثم يدعو اخياركم فلا يستجاب لهم لنامرن بالمعروف ولننهون عن المنكر
او ليبعثن الله عليكم من لا يرحم صغيركم ولا يوقر كبيركم ○ يقال اتاح الله
لفلان كذا اي قدره له واتاح له الشيء هو التهاوك السقوط في
هوة الردى والمتهوك المتحير ○ وفي معجم الطبراني وغيره من حديث
سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طفف قوم كيلا
ولا نقصوا ميزانا الا منعهم الله عز وجل القطر وما طهر في قوم الزنا الا
ظهر فيهم الموت وما ظهر في قوم الربا الا سلط الله عليهم الخنون ولا ظهر
قوم القتل بقتل بعضهم بعضا الا سلط الله عليهم عدوهم ولا ظهر
في قوم عمل قوم لوط الا ظهر فيهم الخسف وما ترك قوم الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر الا لم ترفع اعمالهم ولم يسمع دعاؤهم ورواه ابن ابي الدنيا
من حديث ابرهيم ابن الاشعث عن عبد الرحمن ابن زيد عن ابيه عن سعيد به وفي
المسند وغيره من حديث عروة عن عائشة قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد حفزني النفس فعرفت في وجهه ان قد حفزني شيء كما تعلم حتى توضأ وخرج
فلصقت بالحجرة فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال ايها الناس ان الله عز وجل
يقول لكم مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل ان تدعوني فلا اجيبكم وتسألوني

ماء

ملك

كتاب تفسير القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم حسبي الله ونعم الوكيل ما شاء الله لا حول ولا قوة
الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور
أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالحق بين
يدي الساعة بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا والحمد لله الذي
أرسل رسله مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وختمهم بالنبي
الأمي العربي المكي الهادي لا وضح السبل أرسله إلى جميع خلقه من الإنس والجن
لدن بعثته إلى قيام الساعة كما قال تعالى قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا
الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي
الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون وقال تعالى لأنذركم به
ومن بلغ فمن بلغه هذا القرآن من عرب وعجم وأسود وأحمر وإنس وجان فهو نذير
له ولهذا قال تعالى ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده فمن كفر بالقرآن من ذكرنا فالنار
موعده بنص الله تعالى وكما قال فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من
حيث لا يعلمون وإلى كلهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت إلى الأحمر والأسود
قال مجاهد الأنس والجن فهو صلوات الله وسلامه عليه رسول الله إلى جميع الثقلين
الإنس والجن مبلغا لهم عن الله ما أوحاه إليه من هذا الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد

فصل

وجب أن يعلم
أن النبي صلى الله عليه وسلم بين لأصحابه معاني القرآن كما بين لهم ألفاظه فقوله تعالى
لتبين للناس ما نزل إليهم يتناول هذا وهذا وقد قال أبو عبد الرحمن السلمي حدثنا
الذين كانوا يقرئوننا القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهم
أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها
من العلم والعمل قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا ولهذا كانوا يبقون مدة في حفظ
السورة وقال أنس كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جد في أعيننا وقال ابن عمر
لبث حفظ البقرة عشر سنين قيل لمالك ما شأن ذكر هذا قال ذلك أن الله تعالى
قال كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وقال أفلا يتدبرون القرآن وقال
أفلم يدبروا القول وندب إلى الكلام بدون فهم معانيه لا يمكن وكذلك قال تعالى
إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون وعقل الكلام متضمن لفهمه ومن المعلوم
أن عقل كلام القصود منه فهم معانيه دون مجرد ألفاظه فالقرآن أولى بذلك
وأيضا فالعادة تمنع أن يقرأ القوم كتابا في فن من العلوم كالطب والحساب

ولا يتشوفون إلى فهم كلام الله سبحانه وتعالى الذي هو عصمتهم به في معاشهم النزاع
وسعادتهم وقيام دينهم ولهذا كان بين الصحابة في معاني القرآن قليل جدا
وهو وإن كان في التابعين أكثر منه في الصحابة فهو قليل بالنسبة إلى ما بعدهم
وكلما كان العصر أشرف كان الاجتماع والائتلاف والعلم والبيان فيه أكثر ومن التابعين
من تلقى جميع التفسير عن الصحابة كما قال مجاهد عرضت المصحف على ابن عباس التفسير
ثلاثين عرضة من فاتحته إلى خاتمته أقفه عند كل آية منه وأسأله عنها ولهذا قال الثوري إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك
به ولهذا يعتمد على تفسير الشافعي والبخاري وغيرهما من أهل العلم وكذلك الإمام أحمد
وغيره ممن صنف في التفسير بكر ما الطرق عن مجاهد أكثر من غيره والمقصود أن التابعين
تلقوا التفسير عن الصحابة كما تلقوا عنهم علم السنة وإن كانوا قد يتكلمون في بعض ذلك
بالاستنباط والاستدلال كما يتكلمون في بعض السنن بالاستنباط والاستدلال

فصل

الخلاف بين السلف في التفسير قليل وخلافهم في الأحكام أكثر من خلافهم
في التفسير وغالب ما يصح عنهم من الخلاف يرجع إلى اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد وذلك
صنفان أحدهما أن يعبر كل واحد منهم عن المراد بعبارة غير عبارة صاحبه يدل
على معنى في المسمى الآخر مع اتحاد المسمى كما تقدم في أسماء الله الحسنى كالمتباينة
والمتباينة كما قيل في أسماء السيف أنها صارم والمهند وذلك مثل أسماء الله الحسنى وأسماء رسوله
صلى الله عليه وسلم وأسماء القرآن فإن أسماء الله كلها تدل على مسمى واحد فليس دعاؤه بـ[illegible]
من أسمائه الحسنى مضادا لدعائه باسم آخر بل الأمر كما قال تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا
الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى وكل اسم من أسمائه يدل على الذات المسماة وعلى
الصفة التي تضمنها الاسم كالعليم يدل على الذات والعلم والقدير يدل على الذات
والقدرة والرحيم يدل على الذات والرحمة وكذلك أسماء القرآن مثل محمد
وأحمد والماحي والحاشر والعاقب وكذلك أسماء القرآن والفرقان والهدى والشفاء
والبيان والكتاب وأمثال ذلك فإذا كان مقصود الشارع تعيين المسمى عبر عنه
بأي اسم كان إذا عرف مسمى هذا الاسم وقد يكون الاسم صفة كمن يسأل عن قوله
ومن أعرض عن ذكري ما ذكره فيقال له هو القرآن مثلا أو هو ما أنزله من الكتاب فإن
الذكر مصدر والمصدر تارة يضاف إلى الفاعل وتارة إلى المفعول فإذا قيل ذكر الله بالمعنى
الثاني كان ما يذكر مثل قول العبد سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر
وإذا قيل بالمعنى الأول كان ما يذكر هو وهو كلامه وهذا هو المراد في قوله ومن
أعرض عن ذكري لأنه قال قبل ذلك فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل

ولا يشتي وهذا هو ما انزله من الذكر وقال بعد ذلك قال رب لم حشرتني اعمى
وقد كنت بصيرا قال كذلك اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى والمقصود
ان يعرف ان الذكر هو كلامه المنزل او هو ذكر العبد له فتارة يقول ذكري كتابي
او كلامي او هداي او نحو ذلك كان المسمى واحدا او كان مقصود السائل معرفة
ما في الاسم من الصفة المختصة فلابد من قدر زايد على تعيين المسمى مثل ان يسال
عن القدوس السلام المومن وقد علم انه الله لكن لما معنى كونه قدوسا سلاما مومنا
ونحو ذلك اذا عرف هذا فالسلف كثيرا ما يعبرون عن المسمى بعبارات تدل
على عينه وان كان في كل منها من الصفة ما ليس في الاسم الاخر كما ان من يقول احد هو الحاشر
والماحي والعاقب والقدوس هو الغفور الرحيم اي ان المسمى واحد لا ان هذه الصفة
هي هذه الصفة ومعلوم ان هذا ليس اختلافا تضاد كما يظنه بعض الناس مثال
ذلك تفسيرهم للصراط المستقيم فقال بعضهم هو القران اي اتباعه لقول النبي صلى الله
عليه وسلم في حديث علي الذي رواه الترمذي ورواه ابو نعيم من طرق متعددة هو
حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وقال بعضهم هو الاسلام
لقوله عليه السلام في حديث النواس ابن سمعان الذي رواه الترمذي وغيره ضرب الله
مثلا صراطا مستقيما وعلى جنبتي الصراط سوران وفي السورين ابواب مفتحة وعلى الابواب
ستور مرخاة وداع يدعو امن فوق الصراط وداع يدعو على راس الصراط قال
فالصراط المستقيم هو الاسلام والسوران حدود الله والابواب المفتحة محارم الله
والداعي على راس الصراط كتاب الله والداعي فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم
فهذان القولان متفقان لان دين الله الاسلام هو القران ولكن كل منهما نبه على وصف
غير الوصف الاخر كما ان لفظ صراط بشعر بلفظ تالت وكذلك قول من قال هو
السنة والجماعة وقول من قال هو طريق العبودية وقول من قال هو طاعة الله ورسوله
صلى الله عليه وسلم وامثال ذلك فهو لا كلهم اشاروا الى ذات واحدة لكن وصفها كل منهم
بصفة من صفاتها هذا الصنف الثاني ان يذكر كل منهم من الاسم العام بعض انواعه
على سبيل التمثيل وتنبيه المستمع على النوع لا على سبيل الحد المطابق للمحدود وهي
عمومه وخصوصه مثل تنازعهم لما سئل عن مستمى لفظ الخنى فقال هي وعيفا وقيل
له هذا فالاشارة الى نوع هذا الا الى الرعيف وحده مثال ذلك ما نقل في قوله ثم اورثنا
الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات

فمعلوم ان الظالم لنفسه يتناول المضيع للواجبات والمنتهك للمحرمات والمقتصد
يتناول فاعل الواجبات وتارك المحرمات والمقتصد يتناول والسابق يدخل فيه
من سبق فتقرب بالمستحبات مع الواجبات فالمقتصدون هم اصحاب اليمين والسابقون
السابقون اولئك المقربون وان كلا منهم يذكر هذا في نوع من انواع الطاعات
كقول القايل السابق الذي يصلي في اول الوقت والمقتصد الذي يصلي في اثنائه
والظالم لنفسه الذي يؤخر العصر الى الاصفرار وقول السابق والمقتصد والظالم
قد ذكرهم في اخر سورة البقرة فانه ذكر المحسن بالصدقة والظالم باكل الربا والعادل
بالبيع والناشر في الاموال اما محسن واما عادل واما ظالم قال بقي المحسن باداء
المستحبات مع الواجبات والظالم اكل الربا ومانع الزكاة والمقتصد الذي يودي
الزكاة المفروضة ولا ياكل الربا وامثال هذه الاقاويل فكل قول فيه ذكر نوع دخل
في الاية ذكر لتعريف المستمع بتناول الاية له وتنبيهه به على نظيره فان التعريف بالمثال
قد يسهل اكثر من التعريف بالحد المطلق والعقل السليم يستقطر النوع كما يستقطر
اذا اشير له الى عنيف فيقال له هذا هو الخرق وقد جاء كثيرا من هذا الباب
قولهم هذه الاية نزلت في كذا لا سيما ان كان المذكور شخصا كاسباب النزول
المذكورة في التفسير كقولهم ان اية الظاهر نزلت في امراة ثابت ابن قيس وان
اية اللعان نزلت في عويمر العجلاني وهلال ابن امية وان اية الكلالة نزلت في جابر
ابن عبد الله وان قوله وان احكم بينهم بما انزل الله نزلت في بني قريظة والنضير وان
قوله ومن يولهم يومئذ دبره نزلت في بدر وان قوله شهادة بينكم اذا حضر احدكم
الموت نزلت في قضية تميم الداري وعدي ابن بداء وقول ابن ان قوله ولا تلقوا بايديكم
الى التهلكة نزلت فينا معشر الانصار الحديث ونظاير هذا كثير يعمد كثيرون
انه نزل في قوم من المشركين بمكة او في قوم من اهل الكتاب اليهود والنصارى او في
قوم من المومنين فالذين قالوا لم يتصور ان الحكم الاية تختص بذلك الاعيان دون غيرهم
فان هذا لا يقوله مسلم ولا عاقل على الاطلاق والناس وان تنازعوا في اللفظ العام
الوارد على سبب هل يختص سببه فلم يقل احد من علماء المسلمين ان عمومات الكتاب والسنة
تختص بالشخص المعين وانما غاية ما يقال انها تختص نوع ذلك الشخص فيجعل ما يشبهه لا
يعدوا العموم فيها بحسب اللفظ والاية التي لها سبب معين ان كانت امرا او نهيا
فهي متناولة لذلك الشخص وغيره ممن كان بمنزلته وان كان خبرا كمدح او ذم فهي متناولة
لذلك الشخص ولمن كان بمنزلته ومعرفة سبب النزول يعين على فهم الاية فان العلم
بالسبب يورث العلم بالمسبب ولهذا كان اصح قولي الفقهاء انه اذا لم يعرف ما نوى الحالف